

مقصوده أن تكون حركات الإنسان وسكناته وعباداته الظاهرة والباطنة لله وحده

الإخلاص .. حقيقة الدين ومفتاح دعوة المرسلين وشرط قبول الأعمال الصالحة

يخبرنا بحدث عجيب حصل لأبيوب، وقد عاهده ألا يخبر إلا أن يموت أيوب إن لا رياء حينئذ، قال عبد الواحد كنت مع أيوب فعطشنا عطشا شديدا حتى كادوا يهلكون، فقال أيوب: تستر علي؟ فقلت: نعم إلا أن تموت. قال عبد الواحد فغضب أيوب برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي، وقال أبوحازم: لا يحسن عبد فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبينه وبين الله إلا أعور الله ما بينه وبين العباد، ومصانعة وجه واحد أيسر من صناعة الوجه كلها.

وهذا داود بن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان له دكان يأخذ طعامه في الصباح فيصدقك به فإذا جاء الغداء أخذ غداء فتصدق به فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله.

وكان رحمه الله يقوم الليل أكثر من عشرين سنة ولم تعلم به زوجته، سبحان الله انظر كيف ربوا أنفسهم على الإخلاص وحملوها فهذا زوجته تضاجعه وينام معها ومع ذلك يقوم عشرين سنة أو أكثر ولم تعلم به، أي إخفاء للعمل كهذا، وأي إخلاص اليوم الذي يحدث بجميع أعماله، وربما لو قام ليلة من الدهر لعلم به الأقارب والجيران والأصدقاء، وأد لو تصدق بصدقة أو أهدى هدية، أو تبرع بمال أو عقار أو غير ذلك لعلمت الأمة في شرقها وغربها، إنني لأعجب من هؤلاء، أنهم أكمل إيمانا وأقوى إخلاصا من هؤلاء السلف بحيث أن السلف يخفون أعمالهم لضعف إيمانهم، وهؤلاء يظهرونها لكمال الإيمان؟ عجايب ثم عجايب، فإني أوصيك أخي المسلم إذا أردت أن يحبك الله وأن تتال رضاه فما عليك إلا بصدقات مخفية لا تعلم شمالك ما أنفقت بيمينك فضلا أن يعلمه الناس. وما عليك إلا بركات إمامها الخشوع وقائدها الإخلاص ترعها في ظلمات الليل بحيث لا يراك إلا الله ولا يعلم بك أحد.



يزيد بن هارون حديثه عمر: «إنما الأعمال بالنيات» الإمام أحمد جالس، فقال الإمام أحمد ليزيد: يا أبا خالد هذا الخناق. وكان سفيان الثوري يقول: ما عالجت شيئا أشد علي من نيتي لأنها تنقلب علي. وقال يوسف بن أسباط، تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد. وقال بعض السلف: من سره أن يكمل له عمله، فليحسن نيته، فإن الله عز وجل باجر العبد إذا أحسنت نيته حتى باللمعة. قال سهل بن عبد الله التستري: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب. وقال ابن عيينة: كان من دعاء مطرف بن عبد الله: اللهم إني استغفرك مما زعمت أني أردت به وجه فخالط قلبي منه ما قد علمت. وهذا خالد بن معدان كان رحمه الله: إذا عظمت حلقته من الطلاب قام خوف الشهرة، وهذا محمد بن المنكر يقول: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. وهذا أيوب السخستاني كان يقول الليل كله فإذا جاء الصباح (أي الفجر) رفع صوته كأنه قام الآن. وكان رحمه الله إذا حدث بحدث النبي يشتد عليه البكاء (هو في حلقته) فكان يشد العمامة على عينه ويقول: ما أشد الزكام ما أشد الزكام.

العلم الشرعي. كما جاء في حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به، فمره نعمته ففرغها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال: جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به يعرفه نعمة ففرغها، قال: فما عملت؟ قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من صنوف المال فأتى فمالا عمله لا قيمة لها قال: فما عملت فيها ألا أنفقت فيها ما تركت من سبيل تحب، أن ينفق فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، رواه مسلم. أيها الأخوة في الله: ولذلك فقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله أشد الناس خوفا على أعمالهم من أن يخالطه فذنبت صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن تنصر ك مما يلي العرب فعلنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما أسأتم في الرد: إذ أقصحتهم بالصدق، وإن دين الله -عز وجل- لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه. أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟»، فقال له النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك.

دروس وعبر

1 - ملازمة الصديق لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، جعلته يفهم الإسلام بشموله، وهما الله تعالى بأن يصحب أعظم الصحابة بدين الله: فقد تعلم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حقيقة الإسلام، وتربي على طيبة في معرفة معانيه، فاستوعب طيبة الدعوة وممر جمراتها المتعددة، واستفاد من صحبتها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتشرب المنهج الرباني، ففرع المولى -عز وجل- من خلاله، وطبيعة الحياة، وحقيقة الكون، وسر الوجود، وماذا



كل سجل منها مد البصر، ثم يقال: انتكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتني الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقال: أفلك عذر أو حسنة فيها؟ فيقول الرجل: لا، فيقال: بلي إن لك شيئا من حطام الدنيا أو فناء عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، قلت كيف النية: قال يعالج نفسه، إذا أراد عملا لا يريد به الناس. قال أحد العلماء: نظرت الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا. أن تكون حركته وسكونه في سره وعلايته لله تعالى لا يمارجه نفس ولا هوى ولا دنيا.

إن شأن الإخلاص مع العبادات بل مع جميع الأعمال حتى المباحة لعجب جدا، فإلا إخلاص يعطي الله على القليل الكثير، وبالرياء وترك الإخلاص لا يعطي الله على الكثير شيئا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيفقر الله به كباشر الذنوب كما في حديث البطاقة، وحديث البطاقة كما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله: «بصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشتر يأكل الثرى من العطش،

معين واحد ألا وهو أن يكون قصد الإنسان في حركاته وسكناته وعباداته الظاهرة والباطنة، أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، لا يريد بها شيئا من حطام الدنيا أو فناء الناس. قال الفضل بن زياد سألت أبا عبد الله يعني الإمام أحمد بن حنبل عن النية في العمل، قلت كيف النية: قال يعالج نفسه، إذا أراد عملا لا يريد به الناس. قال أحد العلماء: نظرت الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا. أن تكون حركته وسكونه في سره وعلايته لله تعالى لا يمارجه نفس ولا هوى ولا دنيا. إن شأن الإخلاص مع العبادات بل مع جميع الأعمال حتى المباحة لعجب جدا، فإلا إخلاص يعطي الله على القليل الكثير، وبالرياء وترك الإخلاص لا يعطي الله على الكثير شيئا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيفقر الله به كباشر الذنوب كما في حديث البطاقة، وحديث البطاقة كما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله: «بصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشتر يأكل الثرى من العطش،

قال الله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه، قيل: وما إيقانه يا رسول الله؟ قال: يخلصه من الرياء والبدعة». إن الله تبارك وتعالى جعل الإخلاص شرطا لقبول الأعمال الصالحة. والإخلاص هو العمل بالطاعة لله وحده. والمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وغيرها ابتغاء الثواب من الله وليس لأن يمدحه الناس ويذكروه. فالصلي يجب أن تكون نيته خالصة لله تعالى وحده فقط فلا يصلي ليقول عنه الناس «فلان مصل لا يقطع الفرائض» والصائم يجب أن يكون صيامه لله تعالى وحده فقط وكذلك الأمر بالنسبة للمزكي والمتصدق وقارئ القرآن ولكل من أراد أن يعمل عمل بر وإحسان. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل سأله بقوله: «يا رسول الله الرجل يبتغي الأجر والذكر ما له؟» قال: لا شيء له، فساله الرجل مرة ثانية: الرجل يبتغي الأجر والذكر ما له؟ قال: لا شيء له، حتى قال ذلك ثلاث مرات ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له وابتغى به وجهه، رواه الحاكم. أي أن من نوى بعمل الطاعة الأجر من الله والذكر من الناس فليس له من الثواب شيء. قال تعالى: «مثل الذين يفتنون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم». فالدرهم الذي يدفعه المسلم في سبيل الله ووجه الخير يضاعفه الله إلى سبعمئة ضعف وي زيد الله ن بشاء. وهذا الحكم وهو مضاعفة الأجر عام للصلي والصائم والمزكي والمتصدق وقارئ القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهم

أبو بكر استخدم علمه بالأنساب في نشر الإسلام بين قبائل العرب في الأسواق

هذا الرد من النبي -صلى الله عليه وسلم- على المنى بن حارثة، حيث عرض على النبي حمايته على مياة العرب دون مياة الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة العبيدة يرى بعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامي.

4 - كان موقف بني شيبان يتسم بالارحية والخلق والرجولة، وينم عن تعظيم هذا النبي، وعن وضوح في العرض، وتحديد مدى قدرة الحماية التي يملكونها، وقد بينوا أن أمر الدعوة مما تكرهه الملوك، وقد قدر الله لشيبان بعد عشر سنوات أو تزيد أن تحمل هم ابتداء عبء مواجهة الملوك بعد أن أشرق قلبها بنور الإسلام، وكان المنى بن حارثة الشيباني صاحب حربهم وبطلهم المغوار الذي كان من ضمن قادة الفتوح في خلافة الصديق، فكان وقومه من أجراء المسلمين بعد إسلامهم على قتال الفرس، بينما كانوا في جاهليتهم يرمون الفرس ولا يفكرون في قتالهم؛ بل إنهم ردوا دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد قناعتهم بها لاحتمال أن تلجئهم إلى قتال الفرس، الأمر الذي لم يكونوا يفكرون به أبدا، وبهذا تعلم عظمة هذا الدين الذي رفع الله به المسلمين في الدنيا: حيث جعلهم سادة الأرض مع ما ينتظرون في آخرهم من النعيم الدائم في جنات النعيم.

بعد الموت، ومفهوم القضاء والقدر، وقصة الشيطان مع آدم، وحقيقة الصراع بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والإيمان والكفر. وحبيت إليه العبادات: كقيام الليل، وذكر الله، وتلاوة القرآن، فسمت أخلاقه، وتطهرت نفسه، وزكت روحه.

2 - وفي رفته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما كان يدعو القبائل للإسلام استفاد الكثير: فقد عرف أن النصره التي كان يطلبها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لدعوته من زعماء القبائل أن يكون أهل النصره غير متبطين بمعاهدات دولية تتناقض مع الدعوة ولا يستطيعون التحرر منها؛ وذلك لأن احتضانهم للدعوة والحالة هذه يُعرضها لخطر القضاء عليها من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرا عليها وتهديدا لمصالحها.

إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حربا ضد كسرى لو أراد القبض على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتسليمه، ولن يخوضوا حربا ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واتباعه، وبذلك فشلت المباحثات.

2 - «إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»، كان

فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا تحدثنا، ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنبت صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنبت صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن تنصر ك مما يلي العرب فعلنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما أسأتم في الرد: إذ أقصحتهم بالصدق، وإن دين الله -عز وجل- لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه. أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم ويفرشم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟»، فقال له النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك.

دروس وعبر

1 - ملازمة الصديق لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، جعلته يفهم الإسلام بشموله، وهما الله تعالى بأن يصحب أعظم الصحابة بدين الله: فقد تعلم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حقيقة الإسلام، وتربي على طيبة في معرفة معانيه، فاستوعب طيبة الدعوة وممر جمراتها المتعددة، واستفاد من صحبتها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتشرب المنهج الرباني، ففرع المولى -عز وجل- من خلاله، وطبيعة الحياة، وحقيقة الكون، وسر الوجود، وماذا

قريش، فواله ما سمعت كلاما أحسن من هذا؟ قتلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قوله تعالى: «قل تَعَالَوْا أَتِمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِفْلَاقٍ لَنْ تَرْزُقَهُمْ وَالْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ حَرَامٌ عَلَى الْقَتْلِ وَالَّذِينَ لَا يَحْكُمُوا بِالْعِلْمِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»، فقال مفرق: دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هاني بن قبيصة فقال: وهذا هاني شيخنا وصاحب ديننا، فقال هاني: قد سمعت مقاتلنا يا أبا قريش، وإنني أرى أن تَرَكْنَا ديننا واتباعنا دينك مجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لذل في الرأي وقلة نظر في العاقبة، إن الزلة مع العجلة وإننا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدا، ولكن نرجع وترجع وننظر.. ثم كأنه أحب أن يشركه المنى بن حارثة فقال: وهذا المنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المنى (وأسلم بعد ذلك): قد سمعت مقاتلنا يا أبا قريش، والجواب فيه جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنما إنما نزلنا بين صيريين أحدهما اليمامة والأخرى السمامة، فقالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «وما هذا الصيران؟» فقال له: أما أحدهما فظكوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض

فسلم، فقال: من القوم؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال: يا بني أنت وأمي، ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم وهؤلاء غر الناس وفيهم مفروق بن عمرو، وهاني بن قبيصة، والمنى بن حارثة والنعمان بن شريك، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم لسانا وجمالا، وكان له غدبرتان تسقطان على تربيته، وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنما لا تزيد على ألف ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم، فقال مفروق: إنما لأشد ما نكون غضبا حين تلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنما لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى. لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فها هو ذا، فقال مفروق: إلام تدعونا يا أبا قريش؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ادعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤووني وتنصروني، فإن قريشا قد تظاهرت على الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد».

فقال مفروق: وإلام تدعو أيضا يا أبا